دور الجامعات الإسلامية في مواجهة الغزو الإعلامي والاختراق الثقافي في إفريقيا

د. محي الدين أحمد إدريس تيتاوي(★)

المحور الأول: الإعلام

يشكِّل الإعلام في العصر الحديث أهمية خاصة في تهيئة الرأي العام وتمهيد الطريق لتحقيق كافة الأجندة السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والثقافية، و تمثِّل الحملات الإعلامية كاسحات الألغام أمام الحملات العسكرية التي تقودها دول الغرب المسيحي والصهيوني ضد دول وشعوب العالم الثالث والعالم الإسلامي على وجه الخصوص.

والمتابع للأحداث العالمية التي أعقبت هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م يتيقن تماماً من حقيقة الخطورة التي تكمن وراء استخدام الغرب للإعلام واحتكار إنتاجه ووسائله ومواده للهيمنة على العالم عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة.

وفي ظل ظروف الأُحادية القطبية صارت المادة الإعلامية سلعة تباع وتشترى من خلال قيام الشركات متعددة الجنسيات والشركات الصناعية الكبرى، باحتكار صناعة البرمجيات وأجهزة الحواسيب والسيطرة على شبكة الإنترنت، وأصبح لزاماً على الدول أنْ توفر قيمة المواد الإعلامية ما لم تكن

(★) عميد كلية الإعلام بجامعة أم درمان الإسلامية، ونقيب الصحافيين السُّودانيين.

هناك عقوبات مفروضة عليها في حال توفُّر الإمكانيات المادية لحيازة تلك المواد الإعلامية.

وتكمن خطورة الإعلام وتأثيره في فاعلية الرسالة إلى الجمهور المعني بها، ومدى عمق الدور الذي ينهض به في المحافظة على قيم المجتمع وتراثه وتقاليده، والحفاظ على ملامح هوية الأمة، ومدى نجاحه في التأثير على المجتمع مباشرة أو عبر وسائط اجتماعية يمثلها قادة الأُمَّة.

ويمكن لوسائل الإعلام إحكام السيطرة على وعي المجتمع بعد البحث في الأسباب التي تتحكم في سلوك الإنسان وتؤدي إلى إحداث الظواهر الاجتماعية المطلوبة، كما يتحقق النجاح بعد معرفة المعاني الأصيلة والقيم التي تؤثر في الإنسان عبر عملية معقدة لا بُدَّ من الإلمام خلالها بما يسود المجتمع من نظم سياسية، واقتصادية، ودينية، وتربوية، وعائلية، وقانونية، وأذواق جمالية، وهي عوامل تؤدي إلى التأثير في الاتجاهات والآراء وتكوين الرأي العام[1].

وحتى يؤدي الإعلام دوره الفعَّال في التأثير على الرأي العام نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على حرية الإعلام بما يكفل التدفُّق الحر للمعلومات دون قيود وحرية ملكية وسائل الإعلام، كما يتضمن الإعلان على الحق الفردي والجماعي في حرية الرأي والتعبير وحق الفرد على الحصول على المعلومات التي يريدها.

---

(1) أ. د. سليمان عثمان محمد: الإعلام: فلسفته، أهدافه، مصادره، بحث مقدم إلى ندوة: "واقع كليات الإعلام وأقسامها بالجامعات السُّودانية"، الخرطوم، أكتوبر، ٢٠٠٣م.

وجاءت الحرية ملازمة للمسئولية، إذ لا يتحقق أحدهما في غياب الآخر، فإذا انعدمت الحرية استحالت ممارسة المسئولية .

وتضمن مفهوم المسئولية الإعلامية احترام الذاتية والخصوصية لكل أمة، وحقها في الإعلان عن مصالحها وقيمها الاجتماعية والثقافية، ومسئولية المؤسسات الإعلامية تجاه الرأي العام.

وقد بدأ التفكير العلمي لاحتواء العالم من قبل الولايات المتحدة احتواءً كاملاً بالتمهيد لعصر الأحادية قبل البدء بتفكيك الاتحاد السوفيتي السابق، وذلك باحتكار التكنولوجيا والمعلومات وذلك عام ١٩٦٩م تاريخ ولادة شبكة المعلومات (الإنترنت)، ذلك الاختراع الأمريكي الذي تطوَّر إلى شبكة عملاقة من الحواسيب المتشابكة كأساس لثورة الاتصالات بتبادل المعلومات، وتقديم الخدمة المعلوماتية، واحتكار تكنولوجيا الاتصال، ثم تحويل شبكات الاتصال الجديد إلى سوق تجارية حوَّلت الإعلام من خدمة إلى سلطة، ومن رسالة إلى تجارة تحقِّق الهيمنة الاقتصادية والتفوُّق التقني.

ولإدراك الولايات المتحدة بحقيقة أنَّ عهد القطبية لن يدوم إلى الأبد؛ فإنَّ خطواتها تتسارع لتحقيق أكبر قدر من النجاح في الهيمنة الاقتصادية السياسية، والاستفادة العاجلة بتوجيه العولمة لصالح الاقتصاد الأمريكي.

والعولمة ـ كما ندرك وكما لخصها د. محمود خالد المسافر ـ تعني رفع الحواجز والقيود أمام المال، والتجارة، والاستثمار، والثقافة بكل أنواعها، واستبدال المفاهيم الدينية والقومية والوطنية بأخرى عالمية، والتي تتطلب إذابة

كل التقاليد والأعراف حتى القوانين الداخلية للدول القومية في بوتقة الشروط والظروف الخاصة بالمرحلة الحالية للنظام الرأسمالي.

والعولمة في نظر الدكتور/ صادق جلال العظم هي: "تسليع كل شيء بصورة أو بأخرى في كل مكان بما في ذلك أشكال الإنتاج غير الرأسمالية وقبل الرأسمالية، تلك التي كانت محازية وموازية لأشكال الرأسمالية"[1].

من الأخطار العديدة التي نتجت من تزاوج تكنولوجيا المعلومات والاتصال التخطي المعلوماتي للحدود القومية، مما يؤدي إلى تهميش الثقافات وحدوث تغييرات نوعية في أنماط الخدمة الإخبارية "مسموع، مرئي، مقروء"، وتعريف الخبر الذي أصبح يعني الحدث الذي نشاهده وهو يقع، ثم اكتساب وسائل الاتصال المرئي والمسموع المحلية بُعداً دولياً بمشاهدتها عبر الأقمار الصناعية عالمياً، وعدم إمكانية حجب الأحداث القطرية.

المحور الثاني
الغزو الثقافي الغربي

لا بُدَّ من الإشارة إلى معنى "الحضارة" في سياق تعريف الثقافة والتفريق بينها وبين "المدنية"، إذ إنَّ الحضارة في النظرة العامة تعني: "مجموعة العلوم والفنون والتشاريع والنظم والتقاليد ومظاهر العمران والتقدم التكنولوجي، وما لذلك من انعكاس على الحياة الفكرية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية،

(1) د. محمود خالد المسافر: العولمة الاقتصادية: هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢م.

وعلى الأخلاق العامة في مرحلة معينة من مراحل التاريخ وفي بقعة من بقاع الأرض".

و"المدنية" تعني الجانب المادي أو التكنولوجي من الحضارة، بينما الثقافة هي وجود نظرة للعالم، ومن مدلولاتها زيادة المعرفة والصقل، أو كما يراها ويهلم ديلتاي (Wihelm Deltei) تشمل ثلاثة عناصر:

أولها: تصوُّر ذهني عام لطبيعة علم الواقع.

وثانيها: تصوُّر مستمد من الأول، يحوي مشاعر خيرة.

وثالثها: مستمد من الأولين، ويتعلق بالإرادة والواجب، وتضم النظرة الجامعة للمعتقدات، والعادات، والمشاعر، والإرادة[1].

بعد أنْ تعرَّفنا على "الثقافة" ندرك بالضرورة أنَّ طبيعة الغزو الثقافي الماثل الذي يتعرَّض له العالم سيتضرَّر منه إنسان الجنوب في المقام الأول، لأنَّه مستهد ف في موروثه الذي تسعى العولمة لإذابته وتدميره وإحلال الثقافة الأمريكية محله .. وبالقطع فإنَّ المسلم الأفريقي هو الذي عانى كثيراً ويعاني الآن ومستقبلاً، وقد أدرك هذه الحقيقة إدراكاً عميقاً عبر قادته الذين صرَّحوا مراراً بوعيهم بتبعية الإعلام الأفريقي الكاملة للغرب، عبر ما قام به المستعمرون من ربط أنظمة الإعلام الأفريقية بالعالم الأوربي عامة والدول المستعمرة خاصة، ولا مسافة ولا فكاك من هذه التبعية التي أشار إليها الأستاذ/ مرتضى الغالي إلاَّ بجهد إفريقي مشترك وقوي لصياغة أجهزة إعلامية حرة من التبعية، وتعوزها الخبرة الكافية والإمكانيات المادية اللازمة والرغبة

(1) د. عواطف عبد الرحمن: الإعلام العربي وقضايا العولمة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م.

الحقيقية الجادة في الانعتاق من السيطرة الغربية الجائرة، بعد الوعي بحقيقة خططها الماكرة التي تهدف إلى تفتيت القارة لبقائها تحت السيطرة، واصطناع القادة الذين ينفذون السياسات الاستعمارية بالوكالة.

ومن أخطر ملامح الغزو الثقافي جهود ضخمة تتمثل في تعاون أوربي أمريكي لدعم النشاط التبشيري المسيحي في إفريقيا.

برز هذا التعاون عبر إحصائية كشف النقاب عنها تشير إلى مخصص يهدف إلى تنصير القارة الإفريقية، حيث تم رصد مليار دولار للقيام بهذا العمل وتم تجنيد (١١٢) ألف مبشِّر من قبل الجماعات المسيحية للقيام بهذه المهمة[1].

في سياق تناول خطورة العولمة في غزوها لإفريقيا لا بُدَّ من الإشارة إلى الوسائل التقليدية، وأحدثها على الإطلاق الذي سبق تيار العولمة المعاصر، والتي تمثلت في التعليم الذي تتبناه المؤسسات الكنسية كوسيلة فعَّالة للتبشير في أوساط المسلمين وغيرهم، ومراكز الاتصال والخدمات الأخبارية، والمطابع، ودور النشر، والصحف، والدوريات، واستديوهات الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، ومراكز إعداد الأفلام السينمائية، والفيديو.

وفي السُّودان بدأ تاريخ المسيحية مع أول ذكر لأرض النوبة في كتاب أعمال الرسل حوالي ٣٧م، ثم في ١٣٧٠م بدأ الدخول المنظم لبلاد النوبة، ثم في ١٤٧٣م تم مجيء الرهبان الكاثوليك من النمسا إلى السُّودان في ١٩٤٨م.

---

(1) محمد صالح محمد أيوب: مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها، ١٩٩٢م.

ويمكن الإشارة إلى فعالية التعليم كوسيلة للتبشير في السُّودان بالتركيز على محاولات دانيال كمبوني بوصوله الخرطوم في عام ١٨٧٣م، والتي أصبحت النواة التي كوَّنها من الأسرة المسيحية، وهي الأساس الأول والثابت للكنيسة الكاثوليكية بالسُّودان، ثم تواترت الجهود البريطانية بتشجيع الجمعيات التبشيرية منذ عام ١٩٠٠م لإرسال مبشريها إلى السُّودان للتبشير العلني والدعوة إلى المسيحية.

من أشهر مؤسسات التعليم الكنسي في السُّودان مدارس كمبوني ومدارس الراهبات بأم درمان، وروضة كمبوني، ومدرسة الفتيحاب الكاثوليكية، ومدرسة الخواجة بأم بدة الحارة ١٨، ومدرسة الجريف غرب، ومدرسة القديس سان فرانسس، ومدرسة الراهبات الكاثوليكية، ومدرسة فيلا جلدا، ومدارس الأقباط.

ومن المؤسسات التي تخدم النشاط التبشيري التنصيري الصليب الأحمر السويسري، المنظمة الكاثوليكية، الكنيسة السويسرية الخيرية، مركز أويل للأيتام، وعيادة أبو روف الإرسالية، سودان أيد، والإرسالية السودانية، منظمة الخدمات التطوعية الألمانية وغيرها.

تسعى المؤسسات التبشيرية لتشكيل الواقع السُّوداني بطريقة تبعده عن تراثه، وثقافته الأصيلة، ولغته العربية، ودينه، بطريقة ذكية تهدف إلى إشاعة التدريس باللُّغة الإنجليزية، تدريس المسيحية، والتحدُّث والكتابة بالإنجليزية، ونشر الطقوس والعادات الاجتماعية المحلية الإفريقية وصبغها بصبغة أوربية،

وبث كراهية أهل الشمال من قبل الجنوبيين، والحض على عدم الثقة بهم وبذر الكراهية لكل ما هو عربي وإسلامي.

تسعى الإرساليات التبشيرية للنهوض بالخدمات التعليمية والصحية بعيداً عن الأدوار الحكومية، وذلك لبث تعاليم الدين المسيحي، بإظهار اهتمام المسيحيين بالنواحي الإنسانية والإنسان.

أورد الكاتبان د. طارق أحمد عثمان والأستاذ/ عبد الوهاب الطيب البشير في كتابهما المشترك: "مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا" إحصائية من الموسوعة المسيحية تشير إلى أنَّ عدد سكان السُّودان بحلول عام ٢٠٠٠م سيصل إلى أكثر من ٣٨ مليون نسمة يتم توزيعهم كالآتي:

- مسلمون في حدود ثلاثين مليون، بنسبة ٧٧٪ من إجمالي السكان.
- مسيحيون في حدود أربعة ملايين، نسمة ١١,٥٪ من إجمالي السكان.
- أصحاب معتقدات قبلية في حدود ثلاثة ملايين، بنسبة ٩٪ من إجمالي السكان.

وأنَّ عدد الكاثوليك سيصل بحلول عام ٢٠٠٠م إلى ٣,١٤٥,٠٠٠ (ثلاثة ملايين ومائة خمسة وأربعين ألفاً)، يليهم أتباع الكنيسة الأسقفية وسيصلون إلى ٣,١٤٤,٠٠٠، ثم البروتستانت ٧٥,٠٠٠.

ويرى البروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد أنَّ هذه الأرقام لا تخلو من مبالغات، وتتحدث عن الكنائس العالمية عن صحوة كنسية في السُّودان تتوافق مع خواتيم الألفية الثانية للميلاد، حيث وجَّه رئيس منظمة إغاثة العالم نداءً

متكرراً ذكر فيه أنَّ الكنيسة في السُّودان من أكثر الكنائس نمواً في العالم، ولكنها مع ذلك مضطهدة وهي تناضل[1].

الاتجاه الآنف والإحصائية المتفائلة لنمو الكنيسة في السُّودان، وتعاظم نمو التعاليم المسيحية وانتشارها في السُّودان وإفريقيا، واقع تدعمه اتجاهات العولمة، التي تعمل على تدمير الثقافة والتعليم، وتلغي دور الأسرة والمدرسة تماماً، وتتيح مفاهيم سيادة السوق، وإعلاء قيم الاستهلاك والانحلال والتفسُّخ وإقصاء الدين من الحياة وسائر الأنشطة. وفي هذا السياق لا بُدَّ من تسليط الضوء على الجهود الكنسية في إفريقيا، ومحاولة وضع خطة مناهضة لتلك الجهود في سياق بوادر تساعد على ذلك.

الغزو الكنسي لشرق إفريقيا:

بالرغم من أنَّ النصرانية قد تمددت عبر تاريخ طويل في كل أو أغلب دول شرق إفريقيا ومنذ القرن الرابع الميلادي إلاَّ أنَّ الفهم والاستيعاب لمبادئ وأصول العقيدة النصرانية ودرجة تطبيقها في العبادات والمعاملات ضعيف جداً، برغم أنَّ الانتشار الأفقي قد غطى أغلب أو كل الأقاليم، ففي تنزانيا مثلاً نجده غطى أقاليمها الـ ١٧ بنسب متفاوتة مع وجود الأديان الأخرى، وفي زنجبار ربما بنفس الطريقة لارتباطها بتنزانيا.

تتضاعف الجهود التبشيرية عبر أقوى الإذاعات التبشيرية العالمية للتأثير على السواحليين .. أسست الإذاعة الدولية في ١٩٥٤م وتبث برامجها بقوة، وقد

---

(1) د. طارق أحمد عثمان والأستاذ/ عبد الوهاب الطيب: مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا، دار جامعة إفريقيا العالمية للنشر، الخرطوم، ٢٠٠٣م.

زُودت في عام ١٩٧٠م بموجة قصيرة، وتبث برامجها لإحدى عشرة لغة إفريقية من بينها السواحلية، كما تعتبر إذاعة صوت البشارة بأديس أبابا من أشهر الإذاعات الكنسية في إفريقيا، وقد نشأت سنة ١٩٦٣م بتمويل من اتحاد اللوثريات العالمية تحت إشراف مجمع الكنائس الإفريقية، وتعمل هذه الإذاعة على موجتين قصيرتين موجة متوسطة، وتبث برامجها بست عشرة لهجة إفريقية في مقدمتها اللُّغة السواحلية.

على مستوى الإذاعة الرسمية هناك برامج تعد في الاستديوهات الكنسية التي توجد في دار السلام في السكرتارية الكاثوليكية وفي مباني المجلس المسيحي بتنزانيا، بالإضافة إلى الإذاعات الإقليمية مثل إذاعة صوت الإنجيل اللوثرية في موشى وإذاعة الهلال الإنجيلية في دودوما.

أثر هذه الإذاعات على المستمع التنزاني كبير، لأنَّها تزوّده بالثقة في دينه، وتأصيل ثقافته، وتحبط المسلم أو تصوره وأسلافه كتجار رقيق[1].

بالنسبة لأثيوبيا فهي أولى المناطق التي تنصَّرت من دول الشرق الإفريقي، وتعتبر بوابة دخول النصرانية إلى إفريقيا من جهة الشرق، وبدأت المسيرة بتنصيب بطريرك الإسكندرية اثنا سيوس للملك الأكسومي عيزانا على كنيسة أكسوم، ثم أخذت المسيحية في الانتشار في كل أنحاء مملكة أكسوم خلال القرن الخامس والسادس، نتيجة جهد رجال الكنيسة وكانوا تسعة قديسين، ثم امتدت

(1) د. عبد الرحمن أحمد عثمان: المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية، دار جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠١م.

المسيحية لتشمل أريتريا والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية الأثيوبية وحتى انفصالها في عام ١٩٩١م.

الغزو الكنسي لشمال إفريقيا:

لم تتمكن النصرانية من الانتشار فضلاً عن البقاء في شمال إفريقيا إلاَّ في نطاق ضيق جداً منذ دخولها المبكر إلى وادي النيل، وأنَّ النفوذ المسيحي لم يتجاوز الشاطئ الإفريقي إلاَّ قليلاً، ولم يبق منه إلاَّ الكنيسة القبطية في مصر، كما بقيت الكنيسة الحبشية في شبه عزلة عن العالم الخارجي.

ولكن المسيحية وجدت استعداداً طيباً لدى البربر، غير أنَّها لم تتعد السواحل إلى الداخل، ولكن جهود الإرساليات التنصيرية لا زالت تعمل على احتواء وكسب المتنصرين المسلمين القلائل من شمال إفريقيا الذين لديهم إمكانية لتولي مناصب دائمة في الكنيسة المحلية.

الغزو الكنسي لوسط وجنوب إفريقيا:

وتشمل منطقتان:

الأولى: إفريقيا الوسطى، ويقصد بها المنطقة الواقعة على خط الاستواء وجنوبه أو إفريقيا جنوب الصحراء وتشمل: كينيا، ويوغندا، وزنجبار، وملاوي، وزامبيا، ومدغشقر، وجزر القمر، وزيمبابوي، وموزمبيق، وغيرها.

والثانية: الجنوب الإفريقي، وتشمل الأقطار التي تقع على مدار الجدي وجنوبه، وهي: جنوب إفريقيا، وإفريقيا الجنوبية، ناميبيا، والأقاليم الثلاثة: باسوتولاند، وبتسوانا، وسوازيلاند.

أمَّا الأديان والمعتقدات فهي متشابهة في الإقليمية من حيث درجات الانتشار، وتتجذر فيها المعتقدات الإفريقية المحلية بصورة كبيرة والمعتقدات الوثنية، وتقترن بالظواهر الطبيعية والاعتقاد بوجود قوى خفية غامضة تسيِّر الحياة وتوحّد الوثنية المحلية.

كان دخول المسيحية متأخراً عن دخولها في مناطق شمال إفريقيا وشرق إفريقيا، لأسباب تاريخية، وجغرافية، وطبيعية، واجتماعية.

نجد أنَّ الانتشار الأفقي للنصرانية في دول الوسط والجنوب الأفريقي ربما غطى كافة دول الإقليم، ويختلف من حيث الكمية، والنوعية، والكيفية.

وقدَّر كثير من المهتمين بأنَّ الانتماء الإفريقي في هذا الإقليم لأحد المذاهب النصرانية واجهته صعوبات حالت دون أنْ تتمكَّن هذه العقيدة من غزو عقول كثير من سكان المنطقة.

ورغم احتدام الصراع الإسلامي النصراني في المنطقة، وقوة الإسلام وقدرته على الانتشار بفضل إمكاناته الواسعة في خلق التجانس الاجتماعي؛ إلاَّ أنَّ مصادر عديدة تشير إلى أنَّ النصرانية تحقِّق الآن نجاحاً في التنصير في وسط أصحاب الديانات التقليدية بصورة أكبر من الإسلام، وبرغم زيادة الإسلام فزيادة النصرانية أسرع وبمعدل أكبر.

من الصعوبات التي تواجه الفكر النصراني ورفضه من قبل الأفارقة في الوسط والجنوب الأفريقي هو تنامي الحس القوي والوطني ضد المستعمر وإرسالياته، وهي صعوبات تحول دون تمدُّد وانتشار النصرانية على المستويين الأفقي والرأسي، ولكن الكنيسة لم تيأس، إذ لا زال لها نشاط نصراني بين

المسلمين في إفريقيا من دول وسط وجنوب إفريقيا برغم القبول الضعيف للكتاب المقدس وتعاليمه حتى بين غير المسلمين، إضافة إلى تقصير الإرساليات النصرانية تنظيماً، وتقصير وتقاعس أتباعها من النصارى الأجانب والوطنيين[1].

من الأدوار المساعدة على الغزو الثقافي في وسط إفريقيا الدور الخطير الذي تقوم به الشركات الفرنسية والأوربية، برغم فشل سياسة التدريب الفرنسي، لا بُدَّ من دراسة الظاهرة وأثرها على التعليم في أفريقيا ونتذكر وصية المفكر مالك بن نبي التي قال فيها: "والحق أننا لم ندرس بعد الاستعمار دراسة علمية كما درسنا هو، حتى أصبح يتصرَّف في بعض مواقفنا الوطنية وحتى الدينية من حيث نشعر ولا نشعر".

هنالك وسائل عديدة يقوم بها الاستعمار لصرف الأفارقة عن دينهم الإسلامي وتراثهم ولغتهم، عن طريق نشر اللُّغة الإنجليزية، وتدريس المسيحية، وإشاعة الطقوس والعادات المحلية الأفريقية وصبغها بصبغة أوربية.

في سياق تناول تحديات التبشير المسيحي في وسط إفريقيا نشر تقرير في نهاية عام ١٩٨٩م قدمه أحد المبعوثين من قبل الأزهر الشريف يؤكد استمرار دور جمعيات التبشير في تشاد إلى اليوم، وأشار التقرير إلى أنَّ المنظمات التبشيرية تبذل جهوداً مكثفة في الوقت الحاضر بين المسلمين في تشاد، إذ تقوم الكنائس بعقد دورات تدريبية لربات البيوت المسلمات، وإرسال المدرسات لتعليمهنَّ وأطفالهنَّ مبادئ النصرانية تحت ستار المساعدات الإنسانية، وذكر

(1) د. طارق والأستاذ/ عبد الوهاب: مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا، مرجع سابق.

التقرير أنَّ الكنائس الفرنسية تقوم بدعم هذا المشروع التنصيري مادياً، وذلك في غياب المؤسسات الإسلامية التي تعد قليلة في هذه المنطقة، رغم أنَّ عدد المسلمين في تشاد يبلغ ٨٠٪ على الأقل في جانب ٥٪ من المسيحيين، و١٥٪ من الوثنيين[1].

الغزو الكنسي لغرب إفريقيا:

تشمل منطقة غرب إفريقيا كل المساحة التي يحدها من الشمال والشرق خط وهمي يسير شرقاً من مصب نهر السنغال إلى الحدود الغربية لجمهورية السُّودان، ومن هناك نحو الجنوب الغربي من جبل الكاميرون، ويحدها من الغرب والجنوب المحيط الأطلسي، وعلى ذلك فهي تشمل كل الجزء الأدنى من الانتفاخ أو البروز الغربي العظيم لإفريقيا الواقع بين المحيط الأطلنطي ووادي النيل.

أرجعت المصادر أكبر البعثات الكاثوليكية المتنافسة في غرب إفريقيا إلى عام ١٨٦٠م، وهو العام الذي وسَّعت فيه فرنسا مستعمراتها في غرب إفريقيا.

نجد أقطاراً في غرب إفريقيا تتفوق فيها النصرانية من حيث العدد الكلي على الديانات التقليدية والإسلام، مثل غانا، وعلى نقيضها نجد أقطاراً يتفوَّق فيها الإسلام على المسيحية والأديان التقليدية، مثل نيجيريا، التي تبلغ فيها نسبة المسلمين ٤٤٪، والكاثوليك ١١٪، وبروتستانت ٣٤٪، وأنجليكانيون وأرثوذكس كما يتفوق الإسلام في: غامبيا، وغينيا، ومالي، والنيجر، والسنغال.

(1) محمد صالح محمد أيوب: مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، مرجع سابق.

بينما نجد أقطاراً أخرى تتفوق فيها الديانات التقليدية على الإسلام والمسيحية، مثل: ساحل العاج، وداهومي، وغينيا، وسيراليون.

عموماً يلاحظ قلة الأقطار التي تتفوق فيها المسيحية على الإسلام، وكثرة الأقطار التي يسود فيها الإسلام، كما نلاحظ ضعف تغلغُّل المسيحية والأديان التقليدية في غرب إفريقيا.

مخاطر الغزو الثقافي الذي تقوده العولمة مخاطر حقيقية، تهدد ثقافات الشعوب قاطبة العربية، والإفريقية، والإسلامية، وقد عبَّر عن هذه المخاطر التي تهدد الثقافات المحلية والموروثة أحد مسئولي الثقافة والتوجيه الإسلامي في ايران بقوله: إنَّ برامج التلفاز العالمي وليدة الإمبريالية العالمية، وهي جزء لا يتجزأ من المؤامرة الشاملة التي تهدف لإزالة الدين الإسلامي ومثله المقدسة.

وهي مخاطر لا تقتصر على الدول الصغيرة، بل الكبيرة أيضاً، وحتى فرنسا لها نضال طال أمده ضد الأفلام الأمريكية، وتطوَّر هذا النضال إلى صراع مرير، وما زالت فرنسا تحد من عدد الساعات التي تخصص للمواد الأمريكية في أجهزة تلفازها[1].

مخاطر العولمة والغزو الثقافي الغربي الأمريكي تستهدف الثقافة، والتعليم، والدين، والقيم الحضارية، والثقافات الوطنية، وقيم المجتمع المسلم ممثلاً في الأسرة والمدرسة، وتهدف إلى تجريدها من دورهما عبر سيطرة الإعلام الغربي وتوليه دور التربية والتعليم والتوجيه، للأخذ بنمط الثقافة الاستهلاكية

(1) د. عبد الله عثمان التوم ود. عبد الرؤوف محمد آدم: العولمة "دراسة تحليلية نقدية"، دار الوراق، لندن، ١٩٩٩م.

التجارية، وتشجيع المبادرات الفردية التي تقوم على الأنانية، والاستقلال، والفوضى، والرشوة.

يهدف الغزو الثقافي إلى:

- القضاء على السيادة الإعلامية القومية في إفريقيا.
- التركيز على القيم الفردية وتفتيت الجماهيرية.
- تحويل الدول الإفريقية إلى مستهلك للبرامج والمسلسلات والأفلام بزيادة الهيمنة.
- القضاء على الصحافة والسينما الوطنية وإحلال العالمية مكانها.
- الاستفادة من النخب المثقفة الإفريقية في الترويج لفكر العولمة.
- اتاحة الفرصة للشركات المتعددة الجنسيات لتوظيف الإعلام الإفريقي للترويج للغرب.
- طمس هويات الدول الإفريقية.
- الاستفادة من إفريقيا لدعم إسرائيل.
- التلويح بخطر الإسلام والتحريض على ضرب قوة المسلمين والعرب وإفريقيا.
- التركيز على التفوق الأزلي للرجل الأبيض.
- التأكيد على أنَّ إفريقيا لم تصنع الحضارة.
- الاستفادة من فكر هيجل وتوينبي وفوكوياما عبر العولمة، لتأكيد أنَّ الغرب الأوربي المسيحي هو قمة التاريخ والحضارة، والانتصار للرؤية الغربية.

المحور الثالث

دور الإعلام الإسلامي في مناهضة الغزو:

لا بُدَّ للإعلام الإسلامي الإفريقي من ضرورة القيام بدور فاعل من خلال أجهزة العولمة ذاتها، والاستفادة من التقنية الحديثة لمناهضة دور العولمة في الهيمنة والقضاء على ثقافات الشعوب الإفريقية بأنْ يروِّج الإعلام الإسلامي الإفريقي إلى:

- التأكيد على أهمية المسجد في حركة المجتمعات الإفريقية كساحة للعلم، والتربية، وخدمة المجتمع.
- نشر قيم الإسلام في أوساط غير المسلمين داخل وخارج إفريقيا.
- تزويد المجتمعات الإفريقية بالمناهج الصحيحة، وبث روح التديُّن في المجتمعات.
- توفير ونشر المعلومات اللازمة والصحيحة عن الدول الإفريقية للأغراض الدعوية والعلمية.
- تشجيع الإعلاميين الأفارقة على الكتابة حول قضايا الدعوة وشئون المسلمين، واستنهاض روح البحث العلمي المتخصص في مجالات الدعوة داخل إفريقيا وخارجها.
- تسليط الضوء على العلوم الإسلامية في التفسير، والفقه، والسيرة، والتجويد، والنحو، وغيرها.

- إثراء الثقافة الإسلامية وتشجيع التوثيق العلمي لإسهامات العلماء والدعاة.
- نشر الثقافة الإسلامية والدعوية في أوساط المسلمين.
- إنشاء شبكة معلومات إفريقيا لتوفير المعلومات عن برامج الدول الأفريقية وتهدف إلى:

[١] تشجيع البحث العلمي في المجالات الإفريقية.

[٢] نشر الثقافة والمعرفة بالقارة الإفريقية.

[٣] العمل على توفير المعلومات العلمية المطلوبة عن إفريقيا.

- دور فاعل ينتظر الإعلام الإسلامي، وهو التركيز على ما تقوم به تجمُّعات التجار المسلمين في وسط إفريقيا، وحثهم على ممارسة دور أكبر في دعم الإسلام واللُّغة العربية التي ظلوا يدعمونها بفعالية، والتي يقع على عاتقها أيضاً إقامة المدارس القرآنية، والمساجد، ورعاية معلمي اللُّغة العربية.
- تأكيد حقيقة وضرورة إنهاء سطوة البعثات التبشيرية في الدول الإفريقية المسلمة، والتي جاءت مدعومة من الدول الاستعمارية، وبعد زوال الاستعمار لا ينبغي أنْ يكون لها أي وجود فيها، وينبغي أنْ تتحوَّل الكراهية التي يضمرها الأفارقة للمستعمرين الذين استغلوا خيرات بلادهم إلى كراهية مماثلة للكنيسة والفكر اللاهوتي اللذيْن وقفا مع الاستعمار وساندوه.

- لا بُدَّ من التضامن مع ثورات شباب ومثقفي وطلاب الجابون، وزائير، والكاميرون، وغيرها من دول وسط إفريقيا الرافضة لسياسة التذويب الثقافي الفرنسي، والإشادة بنموذج الصمود الإفريقي، ومنها صمود أهل الكنغو لشعورهم بمسئوليتهم في المحافظة على الإسلام والثقافة العربية ونشرها بكل ما أوتوا من قوة، وكان أهم ما فعلوه ـ استناداً إلى محمد صالح محمد أيوب ـ هو تجذير اللُّغة ونشرها، مما كان له صداه في تأسيس مراكز حضرية إسلامية في مدن نيانجوى (Nyanagwe) وكاسونجو وكيبونجي (Kibonge).
- لا بُدَّ للإعلام الإسلامي من الإشادة بتطلُّع الكنغوليين إلى الثقافة الإسلامية العربية في مواجهة (١٢) ألف مبشّر مسيحي بمستويات علمية ومادية كبيرة.
- مناداة الإعلام الإسلامي ومناشدته للمنظمات والوكالات والدول الإسلامية دعم الدول الإفريقية عبر مؤسساتها الإسلامية والعربية التعليمية التي أقامها السكان والمساجد لمواجهة التحديات التبشيرية.
- على الإعلام الإفريقي التأكيد على حقيقة أنَّ المستقبل للإسلام في إفريقيا، يدعم ذلك واقع الحال الذي يؤكِّد تفوُّق الإسلام على المسيحية والديانات التقليدية في أغلب الأقطار الإفريقية.

- من أوجب واجبات الإعلام الإسلامي ضرورة تسليط مزيد من الضوء على التقدُّم الذي تشهده المؤسسات الإسلامية وحركة الصحوة الإسلامية في سائر الدول الإفريقية[1].
- وما تنص به المعاهد والمدارس الفرنسية العربية (الفرانكواراب) في السنغال من نشر تعليم اللُّغة العربية رغم صعاب الإعداد وتأهيل المعلمين وشُحَّ الموارد المالية في وسط تسيطر عليه الروح الفرنسية في الإدارة، والتعليم، والسياسة.
- وتسليط الضوء على جهود رابطة العالم الإسلامي في السنغال وبعض دول العالم الإسلامي والعربي في دعم تأهيل الطلاب السنغاليين عبر منح دراسية وبرامج تدريب مختلفة، ودور جامعة إفريقيا العالمية لتخصيصها منحاً دراسية لطلاب السنغال ضمن برنامج تأهيل وتدريب الطلاب الأفارقة.
- وتسليط الضوء على إسهامات الصحافة الإسلامية ودروها في تباشير الصحوة الإسلامية التي تشهدها السنغال، ودورها في تعميق الثقافة العربية، ودور المثقفين المسلمين في السنغال عبر تنظيماتهم، وتسليط الضوء عل ما تشهده البلاد من حركة تأليف إسلامية نشطة تشرف عليها مؤسسات للعمل الدعوي الإسلامي كالمعهد الإسلامي بداكار،

(1) مهدي ساتي صالح: مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، دار جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، يناير ١٩٩١م.

والقسم الإسلامي بدار الوثائق (I. F. A. N) الذي يعنى بجميع وتحقيق الوثائق الخاصة بتاريخ الإسلام والمسلمين في السنغال.

- التنويه بحركة الفكر والثقافة الإسلامية ودروهما في الحد من افتراءات غير المسلمين ولمواجهة أعمال الكنيسة الصليبية التبشيرية بين المسلمين، وسعيها لتنصير أبناء المسلمين.
- التنديد بحركة الزنوجة الفارغة من أي محتوى منطقي، والتي نشأت كرد فعل لسياسة التفرقة العنصرية، وكصورة رفض لها واحتجاج على القيم الاستعمارية، وخاصة الفرنسية، وهي أشبه بمسرحية استعراضية تحوَّلت إلى مصالحة مع الاستعمار الذي غزاها وأعدّها لهذا الدور.
- التذكير الدائم بدور الجماعات المسلمة في إفريقيا العاملة في مجال الدعوة وأهمية:

[أ] تصحيح العقيدة من شوائب الشرك، ومظاهر الدجل والسحر والشعوذة المنتشرة في إفريقيا.

[ب] واجب محاربة العلمانية التي تقوم على فصل الدين من الدولة.

[ج] إزالة خلافات الدعاة وتجاوزها بالاحتكام إلى الكتاب والسُّنَّة.

- حث المنظمات الخيرية الإسلامية على دعم الشباب، لاستقطاب عناصر جديدة لدعم المؤسسات الإسلامية الإفريقية بدماء جديدة.
- تشجيع اتجاهات شرق إفريقيا للتمسُّك بالتعاليم الإسلامية، وإشباع رغبات شعوب دولها في التعرُّف إلى الإسلام ثقافته ولغته.

- الاستفادة من ضعف كنيسة الشمال الإفريقي وعدم مشاركة مسيحيها في التبشير والدعوة لمصلحة الإسلام والمسلمين.
- التذكير بصلابة مسلمي وسط وجنوب إفريقيا بالأيدلوجيا الإسلامية وتمسُّك العشائر بالإسلام مع صعوبة تغلغُّل غير المسلمين في أوساطها.

المحور الرابع
دور الجامعات الإسلامية

المناهج وتطويرها، الاهتمام بالأستاذ الجامعي وتأهيله وتدريبه، والاهتمام بالوسائل التعليمية.

يبقى على الجامعات الإسلامية دورٌ متعاظم في مجابهة الهجمة الشرسة التي تقودها العولمة، لتهميش الدور الإفريقي وإخراج إفريقيا من دائرة التاريخ الإنساني والحضارة، وذلك عبر كليات إعلامها لتأكيد واجبها حيال أهم القضايا الماثلة، ومن أبرزها:

- إعطاء صورة حقيقية عن القضايا التعليمية والتربوية الماثلة في إفريقيا والتحديات وآفاق المستقبل.
- الاهتمام بالتأصيل التاريخي لقضايا القارة الإسلامية.
- إبراز الهوية الثقافية التي تشمل المبادئ، والأفكار، والمعتقدات، والالتزامات.

- التركيز على الأهمية الحضارية للإسلام على نقبض ما يروَّج من ألا صلة للإسلام بالحضارة.
- مقاومة تيار طمس الهوية العربية الإسلامية في إفريقيا بتذويبها أو تفتيتها.
- العمل على تحسين البنية الأساسية لأجهزة الإعلام الإفريقية والاتصال، وتنشيط قنوات الإعلام، وترفيع الكفاءة المهنية والحرفية.

المناهج الجامعية وتطويرها:

لقد نهضت السياسة التعليمية في الجامعات الإسلامية على الإبقاء على بعض المناهج التقليدية كمنهج المواد الدراسية المنفصلة، ومنهج المواد المترابطة.

الأول محوره المعلومات التي تستخدم في صورة مواد دراسية منفصلة موزعة على مراحل وسنوات الدارسة، ويختص بالفصل بين المواد الدراسية التي يتضمنها المنهج. ويمتاز بأنَّه ينقل جانباً من التراث الثقافي للدارسين كهدف تربوي، وتقديم المواد بطريقة أعمق، ويمتاز بأنَّه منهج اقتصادي وبسهولة تخطيطه، وإعداده، وتنفيذه.

من عيوب منهج المواد الدراسية المنفصلة أنَّه يهتم بتنمية جانب معرفي واحد ويفصل بين المواد الدراسية المختلفة، مما يؤدي إلى تجزئة المعرفة، ولا يهتم بميول الدارسين وحاجاتهم ومشكلاتهم أو الفروق الفردية بينهم، ويهمل الأنشطة كما يهمل دراسة البيئة والمجتمع.

المنهج الثاني ـ وهو منهج المواد المترابطة ـ هو محاولة لتحسين صورة المنهج التقليدي بربط بعض المواد الدراسية ببعضها، وبالرغم من أنَّه أفضل من سابقه إلاَّ أنَّه فشل في تحقيق الهدف المنشود منه.

ثم جاءت المحاولة الثالثة التي تجسّدت في منهج المجالات الواسعة الذي يقوم على فلسفة تجميع المواد الدراسية المتشابهة ومزجها في مجال واحد، حيث تزول الحواجز بينها تماماً، ويتكون من عدة مجالات: مجال العلوم العامة، ويشمل: الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، والجيولوجيا، ومجال الرياضيات، ويشمل: الحساب، والهندسة، والجبر، ومجال اللُّغات، ويشمل جميع فروع اللُّغات من: تعبير، وقواعد، وأدب ونصوص، ومطالعة، ونقد، وبلاغة، وإملاء، وخط.

تبرز أهمية تطوير المناهج في أنَّ المنهج يحتاج إلى متابعة مستمرة تساعد على إحداث تعديلات لتصحيح الأخطاء، فالمنهج يقوم على التجريب المستمر، وبمرور الوقت تصبح المناهج القائمة بحاجة إلى تغيير جذري، وهو ما يطلق عليه: "تطوير المناهج"، وهي عملية مهمة لحتميتها، إذ ربما يحكم على المنهج بالجمود والرجعية والتخلُّف إذا لم يحدث تطويره باستمرار.

دواعي تطوير المناهج بالجامعات:

[١] قصور المناهج الحالية عن الوفاء بالمتغيرات التي تشهدها البيئة والمجتمع كقضايا التنمية، والسلام، والوفاق الوطني، والوحدة الوطنية، والمتغيرات العالمية والإسلامية على وجه الخصوص.

[٢] أهمية التخطيط العلمي للمستقبل بالتخطيط، والبحوث، والاستفتاءات، والإحصاءات، لرسم صورة للمستقبل.

[٣] ضرورة تطوير المناهج لإشباع حاجات الغد، وتطلُّعاً لمستويات الدول المتقدمة.

أساليب التطوير الحديثة:

تهتم بالإطار العام أكثر من اهتمامها بالجزئيات، لأنَّ تغيُّر العام يؤدي بالضرورة إلى تغيُّر الأجزاء، واهتمامه أكثر بخصائص العصر الحديث التي تؤكِّد أنَّه عصر التقدُّم العلمي، وضرورة الأخذ بأحدث الطرق في تدريس المواد الدراسية وتنمية مهارات التفكير العلمي، والقدرات على الخلق والابتكار.

وأنَّه عصر الانفجار المعرفي، وعصر التخصُّصات، وعصر الماديات، وعصر التغيُّر السريع، وعصر القلق والتوتُّر النفسي، مما يتطلب الاهتمام أكثر بالتربية الدينية وإشباع الهوايات[1].

وفي اتجاه التطوير لا بُدَّ من مراعاة الآتي:

[١] إعداد خطط ومناهج تمثل نموذجاً للتعليم الإسلامي في مختلف العلوم.

[٢] تقديم القدر المناسب من العلوم الشرعية وعلوم اللُّغة كونها دراسات أساسية في مختلف التخصُّصات.

[٣] العناية بالثقافة الإسلامية ونشرها.

[٤] رفع كفاءة الأساتذة في الجامعات المختلفة من حيث التدريب.

[٥] إنشاء مراكز للمعلومات بالجامعات الإسلامية.

[٦] الاهتمام بالأستاذ الجامعي وتدريبه.

---

(1) د. حلمي أحمد الوكيل: تنظيمات المناهج (٢)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٧م.

في اختيار الأستاذ الجامعي تجب مراعاة الآتي:

[١] السلوك القويم والتديُّن.

[٢] الاتجاه الفكري السليم، الذي يجعله متفاعلاً مع محتويات المنهج ذو الصيغة الإسلامية.

[٣] الحرص على أداء الدور المؤثر في بناء الأُمَّة.

[٤] الخلو من عيوب النطق أو استخدام الأيدي.

[٥] التمكُّن من المعلومات.

[٦] وجود المهارات المطلوبة لتدريس المقرر "المادة".

وترد أهمية الاهتمام المستمر بتدريب أساتذة الجامعات وتزويدهم بالمعارف والمهارات الضرورية لأداء المهمة بفعالية، وكفاءة، واقتدار[١].

تدريب الأستاذ الجامعي: أسسه، ومناهجه، وأهدافه

الأسس التي ينهض عليها تدريب الأستاذ الجامعي:

(١) محمد الأمين صبير وعبد القيوم عبد الحليم، ندوة مادة التربية الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ١٩٩٣م.

[١] تنمية مهارات التدريس بصورة عامة (طريقة إعداد الدرس، مهارة إعداد الوسيلة التعليمية واستخدامها بصورة صحيحة).

[٢] الاهتمام باختيار أساتذة من ذوي الاتجاهات الفكرية السليمة والخُلُق الرفيع.

[٣] تقديم الصفات القويمة والالتزام الخُلُقي على المستوى العلمي، لأنَّ الأخير يمكن تعويضه بالتدريب المكثف.

تنهض المناهج المطلوبة لإعداد الأساتذة الجامعيين على نقاط مهمة نوجزها في الآتي:

[١] ضرورة تخلُّل الفكر التربوي الإسلامي في كل المواد لتكامل عناصر المنهج في وحدة موضوعية.

[٢] تقديم الموارد المساعدة على إحداث التعليم في السلوك والمعرفة وتوفير الزمن المناسب للتحصيل.

[٣] وضع برامج تدريبية تراعي جوانب الثقافة والتربية انعتاقاً من هيمنة المقررات الدراسية وتحسّن من أداء الأستاذ.

من أهداف تدريب الأساتذة وفوائده:

[١] معرفة أوجه القوة في الأستاذ لتعزيزها، وأوجه الضعف لعلاجها.

[٢] إطلاعه على أحدث النظريات التربوية في مجال تخصُّصه.

[٣] الوقوف على ما عند الأستاذ من ابتكارات وإبداعات بغرض تشجيعه وتعميم فائدتها ونشرها على أوسع نطاق ممكن.

[٤] تشجيع الأستاذ على مزيد من البذل لتجويد أدائه لعمله بإشعاره بأنَّ عمله مقدّر.

[٥] زيادة كفاءة الأستاذ عن طريق المعاينات والدروس النموذجية.

إصلاح التعليم يبدأ بحسن اختيار المعلم المناسب على أسس أكاديمية ومهنية، واستخدام وسائل جديدة لمعرفة اتجاهات الطلاب وميولهم، لتحسين العطاء الموجود الآن، ثم الانطلاق إلى مزيد من الإصلاح الذي يجب أنْ يبدأ بتحديد فلسفة تربوية نابعة من مثلنا وقيمنا، وأنْ يتم اختيار المعلمين وإعدادهم وَفقاً لهذه الفلسفة.

الخلاصة:

تناول البحث في محوره الأول نشأة الإعلام، وتطوره، وآلياته الحديثة، التعريف بالإعلام معناه وأهدافه في السُّودان وفي العالمين العربي والإسلامي.

ثم التفكير العولمي المعاصر الذي بدأته الولايات المتحدة عام ١٩٦٩م، تاريخ ولادة شبكة المعلومات "الإنترنت"، ثم تطوُّر وسائل الاتصالات في ثورة عارمة أدت إلى احتكار الغرب بقيادة الولايات المتحدة لتكنولوجيا الاتصال، وتحويلها إلى سوق تجارية تهدف إلى الهيمنة الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، عبر نشاط الشركات العابرة للقارات متعددة الجنسيات، في هذا العصر الذي يشهد هيمنة القطبية الواحدة، تسعى الولايات المتحدة للاستفادة العاجلة بتوجيه العولمة لصالح الاقتصاد، لإدراكها حقيقة أنَّ السيادة لن تدوم إلى الأبد.

انتقل البحث في محوره الثاني الغزو الثقافي الغربي وفي نظره إلى التعريف بالثقافة وموقعها، والمدنية من الحضارة في إيجاز، ثم الانتقال للتعريف بأبرز ملامح الغزو الثقافي المعاصر الذي تقوده العولمة بوسائلها الحديثة، بالإضافة إلى الوسائل التقليدية التي يمثلها التبشير المسيحي الذي يتدثر بدثار التعليم

وتقديم خدمات الصحة، والغداء، ورعاية الطفولة والأمومة، ومشروعات تنصير القارة الإفريقية بتجنيد المبشرين الذين بلغ عددهم (١١٢) ألف، ورصد مبلغ (٣) مليار دولار لإنجاز التنصير.

عرضت الدراسة للتعريف بمخاطر الغزو الذي تتبناه على الأرض المؤسسات الكنسية في السُّودان الذي بدأه دانيال كمبوني عام ١٨٧٣م، وأهم مؤسسات التعليم الكنسية التي لا زالت تواصل جهودها في السُّودان، ودورها في تشكيل الواقع والتأثير على التراث والثقافة الإسلامية.

عرضت الدراسة على أدوار الإرساليات التبشيرية في إفريقيا وتفاؤلها في نمو الكنيسة السُّودانية وانتشارها، ثم الغزو الكنسي لشرق إفريقيا، وتضاعف جهود الإذاعات التبشيرية في تنزانيا، مؤكدة خطورة الاتجاهات الراهنة التي تهدف إلى تزويد المسيحي الإفريقي بالثقة في دينه، وتؤصل لثقافته، وتحبط المسلم إذ تصوّره وأسلافه كتجار رقيق.

ألمحت الدراسة إلى ضعف أثر الغزو الكنسي لشمال إفريقيا برغم محاولات الكنيسة هناك لكسب واحتواء المتنصرين المسلمين القلائل من شمال إفريقيا.

تناولت الدراسة الغزو الكنسي لدول وسط وجنوب إفريقيا بعد احتدام الصراع الإسلامي النصراني في المنطقة، مؤكّدة مقاومة الإسلام لانتشار المشروع التنصيري الذي يتمتع بإمكانات واسعة، مشيرة إلى الصعوبات التي تواجه الفكر النصراني في المنطقة، مؤكّدة خطورة التحديات التبشيرية التي ترجمها أحد مبعوثي الأزهر الشريف بتكثيف جهود التبشير في تشاد إلى اليوم متعلقة في أوساط ربات البيوت المسلمات وأطفالهن.

عرض البحث لاستمرار الغزو الكنسي لغرب إفريقيا مشيراً إلى المخاطر وتهديد الغزو للجماعات الإسلامية التي تقاوم التيار الجارف الذي يهدف إلى القضاء على السيادة، وتركيز قيم الفردية، والقضاء على الثقافة والتراث، وطمس الهوية.

في المحور الثالث من البحث جاء التركيز على دور الإعلام الإسلامي في مناهضة الغزو الثقافي بأدوار مهمة أبرزها:

[١] التأكيد على أهمية المسجد ودوره في التربية والتعليم.

[٢] نشر قيم الإسلام وتوفير المعلومات الصحيحة عن الدول الإفريقية.

[٣] تشجيع الإعلاميين الأفارقة وتسليط الضوء على العلوم الإسلامية لإثراء الثقافة الإسلامية.

[٤] إنشاء شبكة معلومات إفريقية.

[٥] العمل لإنهاء سطوة البعثات التبشيرية.

[٦] التضامن مع ثورات الشباب الإفريقي المناهض لسياسة التدريب الثقافي وغيرها من الأدوار.

في المحور الرابع من دراسة اليوم تناول الباحث دور الجامعات الإسلامية في مناهضة الغزو، وذلك بتحديث المناهج وتطويرها، والاهتمام بالأستاذ الجامعي وتدريبه، واهتمامه بالوسائل التعليمية، وأهمية أنْ تقوم الجماعات الإسلامية بإعطاء صورة حقيقية عن قضايا التعليم، والاهتمام بالتأصيل وإبراز الهوية الحضارية، ومقاومة تيار طمس الهوية، والعمل على تحسين الإعلام الإفريقي.

من جهة المناهج عرضت الدراسة المناهج المتداولة في العصر الحديث والتقليدية، مؤكّدة أهمية تطوير المناهج التي تحتاج إلى متابعة مستمرة لتصحيح الأخطاء وتلافي القصور الحالي للوفاء بالمتغيرات التي تشهدها البيئة والمجتمع وأهمية التخطيط للمستقبل، لتشبع المناهج حاجات الغد ومطالبه، والأخذ بأساليب التطوير الحديثة، والعناية بالثقافة الإسلامية.

أكَّدت الدراسة ضرورة الاهتمام بالأستاذ الجامعي وتدريبه واختياره أولاً وَفق مقتضيات السلوك القويم والتديُّن، ثم عرضت الدراسة لأسس تدريب الأستاذ الجامعي، ومناهجه، وأهدافه.

ومن أهدافه معرفة أوجه القوة لتقويتها، ومواطن الضعف لعلاجها، واطلاعه على النظريات التربوية الحديثة، والوقوف على ما عنده لتشجيعه والاستفادة منه، ورفع كفاءة الأستاذ وتشجيعه على المزيد من البذل والعطاء.